معهد الدين القيم

بأشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأصول الثلاثة

شرح الشيخ علي بداني

(أبي عبد الله)

الدرس رقم (6)

التاريخ : الخميس 20 - 4 - 1440 هـ

تفريغ الدرس السادس من دروس شرح الأصول الثلاث

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا و من سيئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ الله فلا مُضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسولهُ، أمّا بعد:

فإنّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله تعالى، وخيرَ الْهَدْيِ هَدْيُ محمد صلى الله عليهِ وسلم، وشَرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكلَّ محدثة بدعة وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النّار.

شيخُ الإسلام العالم الإمام: ***مُحمَّد بن عبد الوَهّاب*** رحمه الله تعالى، عالم رباني و مُجَدّد للدين الإسلامي، رَبَى طلاب العلم على صغار العلم قبل كباره وأنت ترى ذلك جَليّاً في هذه الرسالة التي نحن نسيرُ معكم فيها، وهو يتدرج بنا ويصعد بنا درجةً درجة، خُطوةً خُطوة، وهذا يفيد طالبَ العلمِ كثيراً؛ فإنّه كما سبق معنا فإنّ العلم لا يُرامُ جملة واحدة وإنّما بالحديث والحديثين؛ ومع طولِ الزّمن وإخلاص النيّة والقصد يُحَصّلُ المرء علماً كثيراً ومتيناً بإذن الله تعالى.

فجاءَ أولاً بالمسائل الأربع التي في سورة العصر والتي يَجبُ تَعلُّمُها، فجنس الإنسان كلّه في خسران إلّا من اتّصَفَ بهذه الصفات الأربع وذَكَرَ أنّ أولى هذه المسائل: (العلم) ، والعلمُ هُو: معرفةُ العبد ربَّه ودينَه ونبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ بمعرفة العبد ربَّه وهذا هو الأصلُ الأول من هذه الأصول الثلاثة؛ التي قلنا أنّها هي أسئلة القبر لأنّ الإنسان إذا وُضع في قبرِهِ يأتيهِ ملكان فيسألانِهِ عن الرّب وعن الدينِ وعن الرسول، وحينها: { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}، وذكرَ أنَّ معرفة الله تكون بآياتهِ ومخلوقاته، وأنّه هو ربّ العالمين، أي: خالقهُم ومالكهُم والمتصرف فيهم؛ هذا الخالق لكلّ هذه الأشياء هو المُستحقُّ للعبادة، واستدل على ذلك بآية البقرة، هذه العبادة التي خُلق لأجلها الجنّ والإنس يجبَ أن تكون لله وحده لا شريك له فيها، ناسب بعد كلّ هذه المراحل وكلّ هذه الدرجات أن يُبين لنا أنواع العبادة التي تجب لله وحده ولا يحوز صرفها لغيره، ذكرها مجملةً كما مَرَّ معنا في آخر الدرس الماضي، والآن سيذكرها واحدةً واحدة بأدّلتِها.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نال ما نال من المدح والثناء والدعاء مِمَّن عاصره وعرف دعوته، وممن جاء بعده إلّا لأنّه يربطُ أقواله بالدليل، فلا يقول قولاً ولا يتكلمُ من غيرِ دليل، والشيخُ رحمه الله تعالى **استعمل طريقتين في استدلالهِ بالأدلة على كونِ هذه المذكورات عبادات لا يجوزُ صرفها لغير الله تعالى:**

الطريقةُ الأولى: **طريقةٌ عامّة:** الشيخ رحمه الله تعالى يستدلُ على أنّ هذه المذكورات عبادات، فإذا ثبتت بالدليل كونُها عبادةً حينئذ يستدل لك بالأدلة العامة التي مَرّتْ معنا في آخر الدرس الماضي أنّه لا يجوزُ صرف أيّ نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى، ومن صرفها لغير الله فهو مشرك كافر ، ومن تِلْكمُ الأدلّة التي استدل بها الشيخ رحمه الله تعالى على أنّه لا يجوز صرف العبادة لغير الله تعالى كما مرّ معنا قول الله تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ اللهِ أَحَدًا }، وكذلكَ قولهُ تعالى :{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُ بِهِ فإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

أمَّا الطّريقةُ الثانية : فهي **طريقةٌ خاصّة:** وهذه ستَمرُّ معنا أثناء سرد الأدلة ونرى أنَّ المؤلف جاء بالأدلة، هذه الأدلّة فيها أنّ صرف هذا النوع من العبادة بحدّ ذاته دون غيره من العبادات صرفه لغير الله شرك.

وهذا من الشيخ رحمه الله تعالى تنويعٌ في طريقة الاستدلال فقد يُنازعُ أحدهم في دليل ويتنكر له فإذا أحاطت به الأدلة من كلّ جانب عسى الله أن يشرح صدرَهُ ويقبل الحقّ وهذا الذي نرجوهُ والله هو المُوَفّق وهو الهادي الى سواء السبيل.

قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[وفي الحديث: "الدُّعاءُ مُخُّ العبادة"، والدليل قوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ".]

بدأَ الشيخُ رحمهُ الله تعالى بالدعاء؛ لمنزلةِ الدّعاءِ من العبادة ولأنَّ الشرك فيهِ أكثر من غيرِهِ.

استدلَّ الشيخ رحمه الله تعالى بحديث: "الدُّعاء مُخُّ العبادة" وهو حديث ضعيف لكنّ معناه هو معنى الحديث الصحيح حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي رواه أبو دواد والترمذي

وجماعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "الدُّعاءُ هُوَ العبادة" وهذا دليل على أنّ الدعاء هو العبادة وهو يبين لك منزلة الدعاء من العبادة كمنزلة عرفة في الحجّ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحَجُّ عَرَفة"، فإنّ الوقوف بعرفة أعظمَ أركان الحجّ؛ ولا يعني هذا أنّ الحجّ كلّه هو عرفة فهنا - كذلك - ؛ ليست العبادة محصورة في الدعاء لكنَّ الدعاء أعظمُ أنواعها، واستدل الشيخ كذلك بقوله تعالى: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ"، وفي هذه الآية أمور:

الأمرُ الاول: أَمَرَ الله عباده بدعائهِ.

ثاني الامور: وَعدهُم على الدعاء بقسميه دعاء المسألة بالإجابة بتلبية الطلب، وعلى دعاء العبادة بالإجابة بقبول هذه العبادة والثوابَ عليها.

وأمر آخر: سَمَّى الدعاء عبادة في الآية لأنه قال في آخرها: "{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}"وإنَّما أُطْلِقت العبادةِ على الدُّعاءِ لمنزلة الدعاء من العبادة كما تقدم في الحديث.

والله عزَّ وجلَّ غَنيَّ عنَّا، وغني عن دعائنا ونحن بحاجةٍ الى دعاء الله؛ ومع ذلك سَمَّى الله عز وجل تارك الدعاء مستكبراً.

اللهُ يغضب إن تركت سؤاله *** وبُني آدم حين يُسأل يغضبُ

ثم هذا الدعاء أقسام، ومرّ معنا هذا كثيراً، وهو ينقسم إلى دعاء عبادةٍ ودعاء مسألةٍ:

دعاء العبادة: بأن يتعبُّد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، كالصلاةِ والصيامِ وغيرهما، هذا النوع من الدعاء صرفهُ لغير الله تعالى شركٌ أكبر.

دعاء المسألة: وهو دعاء الطَّلب، طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر،

وهو ينقسم إلى قسمين:

* فيما لا يقدر عليه إلّا الله كإنزال المطر وطلب الولد، وهذا صرفه لغير الله شركٌ أكبر.

* وأمَّا فيما يقدر عليه المخلوق كأن تقول لأحدهم: أطعمني، هذا جائز، لكن بشرط أن يكون: حياً حاضراً قادراً.

ثُمَّ الناس في الدعاء أقسام:

* فمنهم من **لا يدعو الله أصلاً**، وهذا مستكبرٌ عن عبادة الله تعالى كما في الآية.

* ومنهم من **يدعو الله ويدعو غيره معه** وهذا مشركٌ باللهِ العظيم.

* ومنهم من **يدعو الله وحده** وهذا هو المُوَحّد.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[ودليل الخوف قوله تعالى: "فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ".]

الخوفُ: هو الذُّعر، وهو انفعالٌ يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر.

والخوف محلُّه القلب، لكن قد يظهر أثره على الجوارح.

والآية التي استدَّل بها الشيخ رحمه الله تعالى نزلت بعد غزوة أحدٌ كما قال ذلك غير واحد من المفسرين حينما قيل: إنّ قريشاً تعدُّ لكم العدّة لتِستأصلَ شأفَتَكُم، فقال تعالى: "إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ".

في قوله تعالى: [فَلَا تَخَافُوهُم]: نهي من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين عن الخوف من غيره.

وفي قوله تعالى: "وَخَافُونِ": أَمَرٌ بالتعبُّدُ له بالخوف.

وقلنا سابقاً بأن المؤلف رحمه الله تعالى عَرَّف العبادة بما أمر الله به وجميع ما أمر به شرعاً فإنّه يحبّه ويرضاه، فإنَّكم تذكرون قول المؤلف رحمه الله تعالى: وأنواع العبادة التي أمر الله بها، فجعل العبادة ما أمر الله به، ومَرَّ معنا كذلك تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للعبادة وأنّه عرّفها بقوله: **بأنّها اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّهُ الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.**

والخوف من الله أَمَرَ الله به، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بأمر شرعي إلّا وهو يحبّه ويرضاه، وفي هذا دليلٌ على أنّ الخوف من الله عز وجل يحبّه الله ويرضاه، وفي هذا دليلٌ على أنّهُ عبادة، وإذا ثبت أنّ الخوف من الله عز وجل عبادة؛ فلك أن تستدلَّ بالأدلّة العامة التي تخبر بأنّ من صرف العبادة لغير الله فهو مشركٌ كافر، وهذه هي الطريقة العامّة كما - قلنا - ولكَ أن تستدل كذلك بالآية التي ساقها المؤلف رحمه الله تعالى دون الرجوع إلى الأدلّة العامّة لأنّ الله تعالى جعل الخوف منه

شرطاً لحصول الايمان فلا إيمان دون خوف منه سبحانه وتعالى، قال في الآية: {وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤمِنِينَ} وهذه هي الطريقة الخاصّة للاستدلال على أنّه لا يجوز صرف عبادة الخوف من الله لغير الله، وهذا تنويع في الاستدلال كما مَرَّ معنا،

هذا الخوف ينقسم الى:

خوفٌ واجب : وهو المذكور في الآية، وهو خوفُ العبادة والتعظيم وخوفُ السّر؛ وهذا الخوف خاصٌ بالله تعالى، وهذا النوعُ صرفه لغير الله شرك أكبر، وهو شرطٌ في الإيمان، ولا إيمان بدونه كما سبق، فنحن نتعبَّدُ لله سبحانه وتعالى بالخوف منه فلا نخاف إلّا الله فيما لا يقدر عليه إلّا الله؛ كالذين يخافون من القبور ومن الأضرحة أن تمسهم بسوء أو أن تنزل بهم البلاء فيذهبون يعبدونها ويعظمُّونها، ويتقربونَ إليها بصنوف العبادات، فيقدُّمونَ لهم الذبائح والنذور والأطعمة وغير ذلك، كإلقاء النقود على أضرحتهم لدفع ضررها خوفاً منها، وهذا شرك أكبر، فمن فعل ذلك صار مشركاً؛ وإن صلى وصام، وإن زعم بأنّه مسلم، ومن الصور كذلك ما يحدث من كثير من المشركين الجُهّال فتقول له: احلف بالله، فيحلف كاذباً ولا يبالي؛ لكن إن قلت له: احلف بالوليِّ الذي يُعَظّمه، يحجم ويخاف ولا يحلف؛ فخوفه من الولي خوف سر - خوف سرٍ أن يصيبه هذا الولي بشيء - أكبر من خوفه من الله ربّ العالمين.

هذا الخوف الواجب الذي لا يجوز صرفه لغير الله، **قد يكون محموداً وقد يكون محرماً :**

فالمحمود منه: ما حَمَل صاحبه على فعل الطاعة وترك المعصية.

والمُحَرّم: ما حمل صاحبه على القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، فيبقى في المعصية ولا يتوب منها؛ وهذا الخوف المُحَرّم خوفٌ من الله لكنّه زائد عن حدّه.

ويلحق كذلك بالخوف المُحَرّم الخوف من غير الله الذي يُؤدي لترك واجبٍ أو فعل مُحرمٍ كأن يخاف من الخلق أن يعيبوه في أداء واجب فيتركه مُجاراة لهم، فهذا مُحرَمٌ غيرُ جائزٍ.

وهناك **خوفٌ مباح** : وهو **الخوف الطبيعي**؛ كخوف الإنسان من النّار ومن السباع، قال تعالى واصفاً حال موسى عليه السلام: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} أي: من البلد، فموسى عليه السلام حصل معه هذا النوع من الخوف الطبيعي.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الرجاء قوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}]

الرَّجاءُ: هو الطمع في أمر محبوب.

والرَّجاءُ من العبادات القلبية **وهو قسمان:**

قسم مباح: وهو أن ترجو من المخلوق شيئاً يَقْدِرَ عليه (أرجوك أن تفعل) وبمقدورهِ فعل هذا الشيء الذي رجوته منه، وهذا ليس من العبادة وليس المقصود معنا.

وقسمٌ ممنوع: وهو رجاء غير الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلّا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض، وهذا رجاء عبادة وصرفه لغير الله شرك وهو المقصود.

وعلى العموم فالرجاء المُتَضمّن للذلّ والخضوع لا يكون إلّا لله عز وجل؛ وصرفه لغيره شرك.

المؤلف رحمه الله تعالى استدل بقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

والمعنى: من كان يطمع في ثواب الله عز وجل ورؤيته عيانا يوم القيامة وفي الجنّة فليأت بالسبب الذي يحقق رجاءه وهو العمل الصالح بركنيه: **الإخلاص** لله تعالى و**المتابعة** للنبي صلى الله عليه وسلم، والحذر من الشرك كبيرهِ وصغيرهِ، فامتدح الله في هذه الآية من رجا الله وفي هذا دليلٌ على أنّ الرَّجاء عبادة.

والإنسان في سيرهِ إلى الله يجمع بين الخوف والرجاء، فهما للإنسان بمثابة الجناحين للطائر، فإذا استقاما استقام طيرانه؛ واذا سقط أحد الجناحين سقط وصار في عداد الموتى؛ فمن سار بالخوف بدون رجاء هَلَك وحمله ذلك على اليأس والقنوط من رحمة الله، ومن سار بالرَّجاء دون الخوف هلك فأَمِنَ عقوبة الله تعالى وصار يفعل المعاصي ولا يُبالي، فالمؤمن حقاً وصدقاً يخاف الله ربّ العالمين فيعبده ويطيعه ولا يعصيه ومع ذلك يرجو عفوه ومغفرته، ويرجو رحمته وجزاءه.

ثُمَّ قال الشيخ رحمه الله تعالى:

[وَدليلُ التَّوَكُّل قوله تعالى : {وَعَلى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ } وقوله :{ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }]

التَّوكُّل: هو الاعتماد، اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار.

والتوكل من أعظم العبادات القلبية؛ بل هو من علامات الإيمان وصدقه.

قال الله تعالى: { وَعَلى اللّهِ فَتَوَكَّلوا إِنْ كُنْتُم مُّؤمِنِينَ }.

تقديم المعمول الذي هو: (وَعَلى اللَّه) على العامل الذي هو: (تَوَكَّلُوا) يفيد الحصر، أي: توكلوا على الله وحده لا على غيره، ومن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن؛ وهذا دليلٌ خاصٌ كما قدمنا على أنّه لا يجوز التوكل على غير الله، وفيها دليل عام على أنّ التوكل عبادة لأنّه مما أمر به الله سبحانه وتعالى، وما دام أنّها عبادة فلا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

وإذا صدق العبد في توكله على ربّه كفاه حاجته لقوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }، أي: كافيهِ، ومن كان الله كافيه فلا مَطْمعَ لأحدٍ فيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ التوكل لا يُنافي الأخذ بالاسباب المشروعة؛ ومن ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين كان يأخذ بالأسباب فأنت تعمل الأسباب وتأخذ بها، لكن لا تعتمد عليها ولكن تعتمد على الله سبحانه تعالى.

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره من حديث عمر رضي الله عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم: " لَوْ أَنَّكُم تَتَوكلونَ على الله حَقَّ تَوكّله لرزقكُم كما يرزقُ الطَّير تَغدو خِماصا وتعود بِطانا"، والمعروف أنّ الطيور لا تمكث في أوكارها بل تخرج وتبحث عن طعامها؛ وهذا من اتخاذ الاسباب.

والتوكل منه ما هو :

واجب وصرفه لغير الله شرك أكبر : وهو: الاعتماد المطلق على الله وتفويض جميع أموره اليه، واعتقاد أنّ بيده جلب المنافع ودفع المضار.

ومنه ما هو شرك أصغر: وهو اعتماد على حيٍّ مع الافتقار، كالاعتماد على الأمير في حصول المعاش ونحوه، مع الافتقار والتذلل.

والتوكيل جائز وقد وكّل النبي صلى الله عليه وسلم في شؤونه الخاصة والعامة، وهذا ليس من العبادة.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى:

[ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : { إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }]

الرَّغبة: هي طلب الشيء المحبوب.

والرَّهبة: هي الخوف المثمر للهرب من المخوف، خوف مقرون بعمل؛ وعلى هذا تكون كلّ رهبة خوفاً وليس كلّ خوف رهبة، فالخوف أعَمُّ من الرهبة، وقيل: هي بمعنى الخوف.

أمّا الخشوع فهو نوعٌ من التذلل والخضوع لله عز وجل.

في الآية "إِنَّهُم كَانُوا" أي: الأنبياء.

" يسارعون في الخيرات " أي: يتسابقون اليها.

" ويدعوننا " أي: يدخل فيه دعاء العبادة ودعاء المسألة.

"رغباً ": ويدعوننا رغبا، أي: طمعا في ثواب الله تعالى، " ورهباً " : خوفاً من عقابه.

ومن صفاتهم الجمع بين الرغبة والرهبة.

قال الله تعالى في الآية الأخرى: { وادعوه خَوْفًا وَطَمَعًا } فقلوبهم طامعة فيما عند الله تعالى من الثواب، هاربة من وعيده، وقال كذلك في آية أخرى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِم الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }، فاحرص على الجمع بين الرغبة والرهبة.

وفي آخر الآية التي استدل بها الشيخ رحمه الله قوله تعالى: "وكانوا لنا خاشعين" أي: متذللين.

وأصل الكلام: (وَكَانُوا خَاشِعِينَ لَنَا) وتقديم الجار والمجرور على العامل يفيد الحصر والاختصاص.

المعنى: أنّهم كانوا لنا خاشعين لا لغيرنا؛ فالخشوع من أعمال العبد المختصة بالله تعالى، وهو عبادة ولا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وهذه الثلاث استدل لها المؤلف رحمه الله بهذه الآية، وذلك أنّ الله عزّ وجل امتدح وأثنى على أنبيائه باتصافهم بهذه الأوصاف (الرَّغبة والرَّهبة والخشوع) وهذه الثلاث صفات ممدوحة يحبّها الله ويرضاها، فهي عبادات ولا يجوز صرفها لغيره.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل الخشية قوله تعالى: {فَلاَ تَخْشَوهُم واخْشَوْنِي }]

الخشية هي خوفٌ مبنيٌ على العلمِ بعظمة من تخشاه وكمال سلطانه، وعليه فالخوف أعمّ من الخشية والخشية أخصّ من الخوف، فكلّ خشية خوف لا العكس.

الخوف لا تدري أنّه قادرٌ عليك أم لا، أمّا الخشية فأنّك تعلم أنّه قادر عليك.

واستدلال المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الآية دليلٌ على أنّ الخشية عبادة؛ وذلك أنّ الله أمر بخشيته وقال: {وَاخْشَوني} وكلّ ما أمر الله به فهو عبادة يحبّها الله ويرضاها.

والأمر بالشيء بعد النهي عن ضده يفيد الاختصاص؛ فالله عز وجل أَمَر بخشيته بعد أن نهانا عن خشيتهم، وهذا الأسلوب يفيد الإختصاص، أي: أنّ الخشية من الأفعال المختصة بالله تعالى، فلا تخشوا على وجه التعبد والتعظيم إلّا الله سبحانه وتعالى.

والخشية كذلك لها اقسام، وأقسامها كأقسام الخوف المتقدمة.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الانابة قوله تعالى :{ وأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم وَأَسْلِمُوا لَهُ }].

<u>الإِنابةُ</u>: هي الرجوع إلى الله تعالى بفعل الطاعة وترك المعصية، وهي قريبةٌ من معنى التوبة؛ إلّا أنّ الإنابة فيها معنى التوبة وزيادة؛ و هي بمعنى التوبة التي هي الرجوع وتزيد عليها بمعنى آخر وهو: **(الإقبال على فعل الخيرات والمسارعة فيها)** قال الله تعالى: "وأنيبو ألى ربكم" أمرٌ من الله بالإنابة، وهذا يُفيد بأنّ الإنابة عبادة، وفي قوله تعالى: "إلى ربكم" دليلٌ على أنّ الإنابة لا تكون إلّا لله عز

وجل، فالله هو الذي يتوب على عباده ويغفر لهم، { وَمَنْ يَغْفِرُ الْذُّنوبَ إِلَّا الله }، وفي هذه الآية دليل عام وخاص أنّه لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى، وفي قوله: "وأسلموا له" أي: استسلموا لأحكام الله الشرعية.

ثم قالَ رحمه الله تعالى :

[ودليلُ الاستعانة قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وفي الحديث: (إذَا اسْتَعَنتَ فاسْتعِن بالله).]

الاستعانة: هي طلب العون.

قلنا طلب لماذا؟ لوجود همزة الوصل والسين والتاء (اسْتَ) فإذا دخلت (استَ) على الكلمة أفادت الطلب؛ وذلك في الكثير الغالب، فالاستعانة طلب العون.

وفي قول الله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، أصل الكلام: نعبدك ونستعين بك، لكن من أساليب اللغة أن تقديم ما حقّهُ التأخير وتأخير ما حقّهُ التقديم يفيد الحصر؛ فلا نعبد أحداً سواك، ولا نستعين إلّا بك، لأنّه إذا قلت: نعبدك ونستعين بك، فإنّ هذا يفيد: أنّك تعبده وتستعين به لكن لا يمنع أن تعبد وأن تستعين بغيره، لكن عند أن جاءت بهذا اللفظ: "إيَّاك نعبد وإياك نستعين" أفادت أننا نعبدك ونستعين بك، ولا نعبد ولا نستعين بأحدٍ سِوَاك، فحصرت العبادة والاستعانة به سبحانه وتعالى.

وفي الحديث: "إذا استعنتَ فاستعنْ بالله" وهذا جزء من حديث ابن عباس عند الترمذي رحمه الله، وفيه أمرٌ بالاستعانة بالله، وهذا يدلّ على أنّ الاستعانة عبادة،

وهي تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهذه جائزة بشرط أن يكون: **حيّاً حاضراً قادرًا** كأن تستعين بأحدٍ أنْ يَبني لكَ جداراً أو أن يحمل متاعك، فإن كان حيّاً حاضراً جاز وإن كان غائباً أو ميتاً فهذا شرك.

القسم الثاني من أقسام الاستعانة : الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه وتعالى، وهذه شرك أكبر كالاستعانة بالمخلوق في إنزال المطر.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل الأستعاذة قوله تعالى: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق } وَ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }]

الاستعاذة: طلب العوذُ، أي: الحماية من المكروه، قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ } أمرٌ من الله لنبيه وأمته تَبَعٌ له في ذلك بطلب العوذ من الله تعالى، وفي هذا دليل على أنّ الاستعاذة عبادة.

و **"الفلق": هو الصبح**، وقِيلَ: الفلق **هو الخَلق** وعلى التفسيرين فإنّ ربّ الفلق هو الله سبحانه وتعالى.

"مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ": يشمل شرّ جميع المخلوقات.

"وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَب": الغاسق: **ظلام الليل**، إذا وَقَب: **إذا أقبل.**

"ومن شرّ النفاثات في العقد" : من شرّ السواحر، فأنت تستعيذ بالله من شرّ السحر والسواحر.

"ومن شرّ حاسد إذا حسد": **الحاسد:** هو الذي يتمنى زوال النعمة عن الغير، وهو من الخصال المذمومة لأنّه اعتراض على قسمة الله وإساءة إلى الخلق.

والدليل الثاني الذي استدل به الشيخ رحمه الله تعالى هو قول الله تعالى في سورة الناس: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } أَمْرٌ من الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة به.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ: هذه كلّها أسماء وصفات لله تعالى.

وفي هذه الآيات إشارةٌ إلى **أنواع التوحيد الثلاثة :**

- " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ": **توحيد الربوبيّة.**
- " مَلِكِ النَّاسِ ": **توحيد الأسماء والصفات.**
- " إِلَه النَّاسِ ": **توحيد الألوهيّة.**

وعليه فعلماء أهل السّنة والجماعة حين قسّموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام لم يقسّموه لهوىً في أنفسهم أو تقليداً لغيرهم؛ ولكن قَسَّمُوهُ بعد اسْتقراء أدلّةِ الكتابِ والسنة.

ثم قال تعالى: { مِنْ شَرِ الوَسْواس الخَنّاس} **الوسواس** : هو الشيطان الرجيم لأنّه يوسوس للإنسان وُيخيّل إليه، والخنّاس هو كذلك الشيطان الرجيم فإنّ الشيطان إذا غفلت عن ذكر الله وسوس، وإذا ذكرت الله عز وجل خنس، أي: تأخر وابتعد، {الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس}

لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذ بِمثلهما"، يعني: بسورة الفلق وسورة الناس، والحديث أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

والأستعاذةُ كذلكَ تنقسم إلى قسمين :

- الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهي جائزة بشرط أن يكون: **حياً حاضراً قادراً** .
- الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله، وهذه صرفها لغير الله شرك أكبر.

ثم قال رحمه الله تعالى:

[ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}]

الاستغاثة : هي طلب الغوث و هو الإنقاذ من الشدّة والهلاك.

قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} الله عزَّ وَجَلّ ذَكَّرَ المسلمين بوقت استغاثتهم بالله تعالى وطلبهم إزالة ما نزل بهم من شدّة في غزوة بدرٍ فاستجاب لهم وكشف عنهم الضر ونصرهم يومئذ.

استدل الشيخ رحمه الله بهذه الآية على أنّ الاستغاثة عبادة ووجه الدلالة منها أنّ الله عز وجل رتب الإستجابة على الإستغاثة، والله سبحانه وتعالى لا يستجيب إلّا لعملٍ يحبّه ويرضاه.

وهي قسمان كالاستعانة والاستعاذة تماماً :

القسم الأول منها : الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهي جائزة بشرط أن يكون: **حيّاً حاضراً قادراً**، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} وموسى عليه الصلاة والسلام حي، وموسى حاضر، وموسى قادر صلى الله عليه وسلم.

أمّا القسم الآخر منها :فهي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلّا الله سبحانه وتعالى وهذه صرفها لغير الله تعالى شرك أكبر.

هذه العبادات الثلاث الأخيرة والتي هي (الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة) تدخل تحت معنى الدعاء، ودعاء المسألة يشملها جميعا ويزيد عليها، فالدعاء أعَمّ، وهذه أفراد خاصة تدخل تحت معنى الدعاء لذلك ترى أنّ أقسامها نفس أقسام دعاء المسألة التي هو طلب وهذه الثلاث كلّها قلنا فيها همزة الوصل والسين والتاء (استـ) فهي طلب، فيتنبه الطالب إلى ذلك فيحصرها في ذهنه ويقيدها كيلا يتشتت.

ثم قال المؤلف رحمه تعالى:

[وَدَليلُ الذبح قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِين }، ومن السُّنة(لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لغير الله)]

الذبح : هو إراقة الدم وهو من العبادات الظاهرة.

وأمّا الشاهد من الآية فهو قوله تعالى: (وَنُسُكِي)، ذكر ابن جرير - رحمه الله - إنّ النسك في هذه الآية يُقصد به الذبح، فكما أنّ صلاتك لله ربّ العالمين فكذلك ذبحك يكون لله وحده لا شريك له في ذلك.

(وبذلك أُمِرْتُ) أي: أمرت بإخلاص هذه العبادات لله سبحانه وتعالى.

وأمّا الحديث الذي استدل به الشيخ رحمه الله فهو في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه.

ومعنى: (لَعَنَ اللهُ) **اللعن من الله** : هو الطرد من رحمته سبحانه وتعالى، لأنّه أشرك بالله حين ذبح لغير الله سبحانه وتعالى.

ويُفْهَم من الآيه ومن الحديث أنّ الذي يقصد بذبحه الله سبحانه وتعالى وحدهُ فهذا يكون ممدوحاً عند الله تعالى ومحبوباً وعليه فإنّ الذبح عبادة.

والذبح إمّا أن يكون : ذبح عادة أو ذبح عبادة.

فذبح العادة : هذا لا أجر ولا وزر فيه، كشاةِ اللَّحمِ والتّجارة والولائم، فهو ليس بعبادة ما لم تدخله نِيَّة، فإذا أراد به عفاف أولاده وأهله والنفقة عليهم أُجر، وإِنْ أرادَ بهذا الذبح الكبر والخيلاء أثم.

وذبح العبادة : قد يكون شرعيًّا، وقد يكون شركيًّا.

فالشرعيُّ:

منه ما هو: **واجب** كالهَدي.

ومنه ما هو: **مستحب** كالاضُحية على الراجح.

والشركيّ هو الذبح لغير الله بقصد تعظيم المذبوح له والتقرب إليه والتذلل إليه.

ثم قال رحمه الله:

[ودليل النذر قوله تعالى { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}]

النَّذْرُ: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه بأصل الشرع.

والنذر : إمّا أن يكون شرعيًّا، وإمّا أن يكون شركيًّا:

فالشرعيّ: ما كان لله سبحانه وتعالى، وقد يكون مُطْلقاً، وقد يكون مقيداً.

فالمُطلق : الذي لم يُقَيَّد بشيء، فيقول مثلا: نذرت، أو: لله عليّ أن أصوم يوماً في سبيل الله.

والمقيد : هو ما قُيّد بشيء ، كأن يقول مثلا: لله عليّ إن شفيت أن أصوم يوماً في سبيل الله. (قُيِّدَ بالشفاء).

وهذا الثاني (المقيد) يُسمى : نذر المقابلة وتركه أولى، لأنّه يُستخرج من الشحيح؛ لكن إذا حصل يجب الوفاء به.

والنذر الشركي : ما كان لغير الله عز وجل؛ كمن نذر لصنم أو حجر؛ فهذا نذر معصية وشرك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ الله فَليطعهُ ومن نَذَرَ يَعْصِهِ فلا يَعْصِه) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقول الله تعالى في الآية التي استدل بها الشيخ: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ).

يُحْمَل النذر في الآية على معنييه: المُطلق والمُقَّيد. فالذين يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من العبادات التي لم تكن واجبة عليهم ويخافون يوما كان شره مستطيرا، أي: يخافون يوم القيامة الذي كان شره ممتدا ظاهرا، هؤلاء امتدحهم الله سبحانه تعالى لوفائهم بنذرهم؛ وفي هذا دليلٌ على أنّ الوفاء بالنذر أمرٌ محبوبٌ عند الله سبحانه و تعالى وامتدح أهله.

وفي هذا دليلٌ على أنّه عبادة لا تكون إلّا لله سبحانه وتعالى.

وبهذا يكون الشيخ رحمه الله قد انتهى من ذكر أنواع العبادة التي قلنا سابقاً أنّها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ وبه يكون قد انتهى من الأصل الأول الذي هو معرفة العبد ربّه، وسيكون درسنا القادم بإذن الله تعالى في الأصل الثاني الذي هو: [مَعْرِفة دين الإسلام بالأدلّة].

وفقني الله وإياكم للعلم النافع العمل الصالح، والحمدُ لله رب العالمين .